

المحاضرة الخامسة: المسرح الغربي الحديث 01.

مهاد:

إن الحديث عن المسرح الغربي الحديث، يتبع الحديث عن عصر النهضة الأوروبية، أو ما عرف بعصر الإحياء، الذي جاء بعد معاناة طويلة ومريرة عاشتها الحضارة الأوروبية تحت نير سلطة الكنيسة "الأرثوذكسية" التي سيطرت على الحكم، وهيمنة على كل مناحي الحياة.

ونحن هنا نقرر بداية، أن مسرح عصر النهضة، لم يقطع في نشأته مع الأصول الكلاسيكية للمسرح، ولا مع تقاليد الدراما الدينية، التي كرسست عبر العصور الوسطى، حين هيمنة الكنيسة على طبيعة الحياة الأوروبية، كما أنه لم يصرف ظهره لمسارح التغيير الاجتماعي، التي حملتها طبيعة الحياة الجديدة في هذا العصر، حيث بدأت الدراما تأخذ مسارها الطبيعي بتوجهها نحو قضايا المجتمع، واهتمامها باليومي وكل ما يتصل اتصالاً مباشراً بحياة العامة، ومنه فإن هذا المسرح ينبنى على أصول ثلاثة هي:

1- المسرح الإغريقي و الروماني، من خلال الأعمال المسرحية الخالدة عند رواد المسرح القديم من جهة، ومن خلال الجهود النظرية والتقعيدية عند أرسطو في كتابه "فن الشعر".

2- تقاليد الدراما في العصور الوسطى .

3- طبيعة الحياة الجديدة (التغيير الاجتماعي والسياسي والفكري الذي ميز عصر النهضة)

المسرح الكلاسيكي الغربي الحديث:

نشأ المسرح الكلاسيكي الغربي الحديث في إيطاليا تحديداً، ومنها انتشر في ربوع أوروبا، وذلك من خلال الجهود الكبيرة التي بذلها النقاد الإيطاليون، من خلال التعليقات والشروح الجلية التي أقاموها على كتاب "فن الشعر" لأرسطو، والتي فصلوا الحديث فيها عن القواعد الدرامية، والأسس الفنية التي نظر لها أرسطو، على غرار قاعدة الوحدات الثلاث، وحدة الزمن و المكان ووحدة الحدث، أما الأولى والثانية فيبسّطهما الناقد الإيطالي كاستيلفيترو بقوله: " إذ يجب على العرض أن يأخذ نفس عدد الساعات التي يحدث فيها

في الواقع، وينطبق نفس الشيء على المنظر المسرحي، فلا يجب أن يتعدد بل يجب أن يلتزم بهذا المشهد الذي يظهر لأعين متفرج واحد" (56) .

لعل المورد الذي تستقي منه جميع الدراسات الحقبة عناصرها الجوهرية لتلك الصورة المسرحية من صور الأدب، هو كما هو معروف كتاب الشعر "poetica" لأرسطو، وهو الكتاب الذي ظل الناس يتدارسونه الأحقاب الطويلة، بوصفه من كتب الأمهات في هذا الفن، فكانوا في عصر النهضة يتحمسون له، ويجلونّه إجلالا لا يرقى إليه النقد (57) .

إن قصة النقد المسرحي في عصر النهضة الإيطالية، هي بالضرورة قصة إعادة اكتشاف أرسطو، واتخاذ "فن الشعر" الذي كتبه مرجعا رئيسا يرجع إليه في النظرية الدرامية، مع محاولات ربط هذا العمل بالتراث النقدي المستقر سلفا (58) .

وتبعاً لهذا ، تطورت روح الحماسة للشؤون الكلاسيكية، إذ اتصلت الملهاة والمأساة مرة أخرى بالمسرح، بعد أن كانتا مقصورتين على التلاوة، ومرة أخرى قامت حركة للنقد المسرحي، متميزة بنفسها عن حركة النقد الشعرية العامة، فكشفوا عن ألوان جديدة من الجمال في أولئك الشعراء اللاتين من ناظمي المسرحيات، الذين لم تذهب أعمالهم بتمامها، كما وجدوا في مخطوطات العلماء اليونانيين، التي طال عليها الأمد كنوزاً أعظم مما استطاعت جزائر الهند الشرقية والغربية، أن تقدم لهم من ثروة، أضف إلى هذا كله ما تبينوه حينئذ من أن المسرحيات، لم تكن مجرد قصائد للتلاوة لكنها منظومات قصد بها أن تؤدي أمام جمهور من النظارة، ويقوم بأدائها ممثلون من لحم ودم (59) .

وسرعان ما خطى الأدباء في هذا العصر خطوات أخرى، بعدما قاموا به من إخراج ملاهي تيرانس وبلوتوس، في مسارح شبه كلاسيكية، إذ شرعوا يكتبون ملاهي مآسي باللغة الدارجة، ثم راحوا يخرجونها على تشكيلة من المسارح، التي يختلط فيها طراز العصر القديم، بطراز العصر الوسيط في صورة غريبة، وهكذا ولدت المسرحية الحديثة،

⁵⁶. مارفن كارلسن، نظريات في المسرح - عرض نقدي وتاريخي -، تر: وجدي زيد، المركز القومي للترجمة، مصر، 2010م،

ط101، ص 100. التي يحددها أرسطو بعبارة الشهيرة: "دورة واحدة للشمس"

⁵⁷ الأرديس نيكول، علم المسرحية، ص 03.

⁵⁸ مارفن كارلسن، نظريات في المسرح - عرض نقدي وتاريخي -، ص 71.

⁵⁹ الأرديس نيكول، علم المسرحية، ص 12.

المسرحية الممتزجة بمسرحيات العصور الوسطى، تلك المسرحيات التي قسم لها أن تؤدي إلى شكسبير، وقد تسربت المثل الكلاسيكية في الواقع، إلى كل شيء، وهيمنت عظام هوراس النخرة، وطيف أرسطو الزائف، فأشاعت الهيبة في النفوس جميعاً (60).

فمنذ أن أصدر "فيدا" كتابه فن الشعر سنة 1527م، وما تلاه من تلك السلسلة من أبحاث النقد المنشورة والمنظومة، ونحن نسمع ذلك النداء، نفسه: اقتفوا آثار الأقدمين، لا تحاولوا أي لون من ألوان التجديد، حافظوا على الفصول الخمسة في مسرحياتكم، قلدوا سنكا، وفوق كل شيء، حافظوا على الوحدات، تلك القواعد قدر لها أن تكون الهياكل الرئيسية في أصونة النقاد المسرحيين، وأصونة مؤلفي المسرحيات طوال قرون (61).

ومن الغرابة بما كان، بالقياس إلى العبقرية المستقلة الخلاقة، التي اتسمت بها النهضة أن يميل نقادها إلى السطحية والأحكام الآلية، والظاهر أن شغفهم بالآثار الكلاسيكية جعلهم يرفضون الاعتراف بأصالة شيء، إلا ما تصوره تفكيرهم أنه من فن القديم، والحضارة القديمة (62).

نعم، لقد كان الرأي السائد عند نقاد بدايات القرن السادس عشر الإيطاليين، هو أن التراث الكلاسيكي كان تراثاً متناغماً في مجموعته، وأن التناقضات والتضاربات الظاهرة، كانت نتيجة القراءات الخاطئة، والترجمات غير السليمة، أو العيوب في النصوص الباقية، ولهذا تعهد نقاد القرن السادس عشر بالمهمة الضخمة، وهي ترجمة أرسطو وتقديمه على نحو سلس ومنطقي (63).

وأول تعليق مهم نشر على أرسطو، كتبه الناقد الإيطالي فرانسيسكو روبرتو "francesco robortello" (1516م/1568م)، الذي شغل كرسي البلاغة في العديد من الجامعات الإيطالية الرائدة، وفي عام 1548م، وهي السنة نفسها التي نشر فيها تعليقه، تولى مهام الأستاذية في جامعة البندقية، ولقد جمع التعليق كل التعليقات

⁶⁰ الأرديس نيكول، السابق، ص12.

⁶¹ الأرديس نيكول، نفسه، ص14.

⁶² نفسه، ص14.

⁶³ مارفن كارلسن، نظريات في المسرح - عرض نقدي وتاريخي-، ص72.

المتناثرة عن فن الشعر التي كتبها الآخرون عبر السنوات العشرين الماضية، عن الاتجاهات العامة التي أخذ بها النقاد اللاحقون⁽⁶⁴⁾.

وقد تلاحقت بعد ذلك التعليقات والشروح، على كتاب أرسطو "فن الشعر" من قبل النقاد الإيطاليين، الذين أسسوا حركة نقدية مسرحية، عبرت أنوارها حدود البلاد الإيطالية، وأسست للمذهب الكلاسيكي الجديد في المسرح الغربي، وسنتوقف عند إشعاع هذه الحركة وتأثيرها في المشهد المسرحي في كل من فرنسا وبريطانيا.

⁶⁴ مارفن كارلسن، نظريات في المسرح - عرض نقدي وتاريخي -، ص 84.